بحث عن

أثر القيم الجمالية في الفن الإسلامي على تصميم المنتجات الزجاجية الفنية - المحلية والعالمية

إعداد

د. مصمم/ أبو العباس محمود محمد عزام

أستاذ التصميم المساعد بقسم الزجاج

كلية التربية النوعية جامعة حلوان

أثر القيم الجمالية في الفن الإسلامي على تصميم المنتجات الزجاجية الفنية المحلية والعالمية

د.محمد / أبيالمعبا شمخميد مخمد هسا ذ
أستاذ التصميم المساعد بقسم الزجاج .
كلية الفنون التطبيقية – جامعة حلوان .

المقدمة :-

لقد كان العرب المسلمون على قسط وافر من سعة الأفق السياسي والحضاري ، بحيث حافظوا على التقاليد الفنية والصناعية في البلاد التي فتحوها ، بل وعملوا على تقدمها وتطورها ، واستطاعت الدول الإسلامية بفضل الروح الإسلامية الجديدة والخبرات الفنية والصناعية المتنوعة التي تتمتع بها شعوب العرب والفرس والروم والقبط وغيرهم أن تبتكر فناً جديداً يمتاز بامتزاج التقاليد الفنية والصناعية المختلفة وسيادة الطابع العربي الإسلامي .

وعلى ذلك نستطيع القول بأن الفن الإسلامي أخذ قوامه الروحي من شبه الجزيرة العربية ، أما قوامه الفني فقد تم صوغه في أماكن أخرى كانت له فيها قوة وحياه ، كما أن الفن الإسلامي قام على أسس من الروح العربية والفنون التي كانت سائدة في البلاد التي فتحها العرب والتي أصبحت تكون جزءاً من الدولة الإسلامية وهي الفن الساساني والبيزنطي والمصري والروماني والفن الهندي وفنون الصين وآسيا الصغرى ، وإن اختلف علماء الآثار في تحديد نصيب كل من الفنون القديمة في بناء الفن الإسلامي الجديد الذي لم يأخذ كل ما صادفه في فنون الحضارات من موضوعات وعناصر – بل وقف منها موقف الفاحص الناقد ، لذلك نجد الفنان المسلم قد أمضى فترة طويلة في عملية استجماع واختيار ومزج ، فقد جمع العناصر الزخرفية من فنون البلاد التي خضعت للإمبراطورية الإسلامية المترامية الأطراف والتي امتدت من الهند شرقاً إلى شمال أفريقيا وبلاد الأندلس غرباً ، ثم اختيار مالا يتعارض منها مع أحكام الدين الجديد ، وقد استمرت هذه العملية من جمع ومزج واستبعاد حوالي ثلاثة قرون تقريباً ، وأصبح للفن الإسلامي بعدها مميزاته الخاصة التي تكاد لا تخطئها العين .

مشكلة البحث :

بالرغم من تأثير الفنون الإسلامية في تشكيل ملامح التطور الإنساني ، إلا أنه وفي السنوات الأخيرة ظهرت بعض الدعاوي الباطلة التي تروج للانتقاص من الحضارة والفنون الإسلامية ، بأن ليس لها أساساً أو أصولاً فكرية وفلسفة تضارع أو تتشابه مع الحضارات الأخرى . الأمر الذي يدعو إلى مواجهة هذه الدعاوي من المفكرين والباحثين بالأدلة العلمية ، التي تبطل مزاعمهم .

هدف البحث :

1- يكمن الهدف الرئيسي للبحث ، في توضيح أثر القيم الجمالية في الفن الإسلامي على الفنون الأخرى بشكل عام وتصميم المنتجات الزجاجية الفنية بشكل خاص .
2- يستهدف البحث أيضاً استنباط ماهية الفن والجمال من منظور إسلامي .

فروض البحث ومنهجيته :

يقوم البحث على دراسة عينة من الأعمال الفنية في مجالات الإبداع المختلفة ويستخدم في هذه الدراسة أدوات أهمها "الوصف – التحليل – الاستنباط" من خلال فروض لتحقيق الهدف ، تناولها البحث في المحاور التالية :

المحور الأول : ماهية الجمال والفن من المنظور الإسلامي :

وفيه يفترض البحث أن المفهوم الحقيقي للجمال من المنظور القرآني هو الجمال المطلق ، وهو الحقيقة التي لا جدال فيها ، توفر على الإنسان على أي أرض وفي كل زمان متاهته العقلية والنفسية .

المحور الثاني : فلسفة فن وتصميم المنتجات الزجاجية الإسلامية :

وفيه يفترض البحث أن للعرب والمسلمين فكراً فلسفيا ابتكاريا" استفاد منه الغرب في أعمالهم الفنية المعاصرة ، يحتاج إلى التحليل والعرض والاستنتاج .

المحور الثالث : ماهية التجريد في الفن الإسلامي :

وأثره على المنتجات الزجاجية وفيه يفترض البحث أن الفلسفة التجريدية في الفن الحديث هي دعوه سبق في تطبيقها الفنانون المسلمون ، تحتاج إلى التوضيح والتحليل واستنباط الأدلة .

المحور الرابع: أثر الفلسفة الإسلامية على الفن والتصميم في العصر الحديث :

وفيه يفترض البحث أن هناك دلائل تؤكد تأثير الفلسفة والإسلامية على الفن والتصميم في العصر الحديث ، تحتاج إلى العرض والتحليل .

المحور الأول: ماهية الجمال والفن من المنظور الإسلامي:

أولاً: خصائص الجمال من المنظور القرآني:

يقول الإمام الغزالي "أن تربية الإنسان تعتمد على أنظمة المدركات البصرية والإحساس بها، وأن الجمال صفة من صفات الخالق، وعلى المخلوق أن يدرك مفهوم الجمال الأذكى قبل أن يدرك الجمال الدنيوي[2] .

ومن إعجاز البيان القرآني والذي قال رب العزة عنه في سورة الأنعام 6 الآية 38 "ما فرطنا في الكتاب من شيء" أن نجد فيه المفهوم الحقيقي للجمال والذي حاول ويحاول الفلاسفة والمفكرون أن يضعوا له تعريفًا جامعًا مانعًا، وهو موجود أمامهم منذ أكثر من أربعة عشر قرنًا من الزمان إن القرآن الكريم يحمل لنا في آية واحدة معجزة هي الآية 17 من سورة الغاشية ذلك المفهوم في بضع كلمات فيقول عز من قائل "أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خُلِقَتْ"

وقد يتساءل البعض ما لنا والإبل في هذا المقام وما علاقتها بمفهوم الجمال ولكن إذا طوفنا حول هذه الآية الكريمة في ضوء استنباط حقيقة مفهوم الجمال لوجدنا من إشراقاتها الكثير والكثير الذي ينير لنا الطريق في هذا الشأن – ففي المعجم الوسيط:

الإبلُ: الجمال والنوق - و (الجَمَلُ): الكبير من الإبل.

و (الجُمَالَيّ): من الإبل والناس: الضخم الأعضاء التام الخلق والطويل. ويقال (استَجْمَلَ) البعير: صار جملاً – وللشيء عدَّه جميلاً.

أي أن الإنسان إذا استجمل شيئًا فإنه يعني ذلك أن يعتبره جميلاً وهنا تبرز العلاقة اللفظية بين الجَمَال والجِمَال، وذلك من خلال اشتراك الكلمتين في الأحرف الأساسية وهي (الجيم)، و (الميم)، و (اللام) من ناحية اللفظ وبالتالي فيما تحمله الألفاظ من معاني ومدلولات – فالبعير الذي صار جملاً مرادفًا للشيء الذي نعتبره جميلاً – وقد يُظَن أن الأحرف الثلاثة الأساسية المكونة للفظة (الجَمَال) لا توجد إلا مرتبطة بلفظة (الجِمالُ) فما نجده في المعجم الوسيط تحت معنى (الجُمَيْلْ)، (الجُملانه) وجمعها (جِملانَ) فنجد أنها تشير إلى (البُلبُل) ذلك الطائر الصغير الذي يضرب بصوته المثل في الجمال والعذوبة. وأن اختيارهما إنما يرجع إلى تجلي

معاني الانسجام بينها وبين بيئتها وبينها وبين ما خُلقت من أجله ونحن نعرف أنه أينما تحقق الانسجام وجد الجَمَال في أذهاننا من خلال المنظور القرآني علينا أن نتدبر الكفاءات الكامنة في هذا المخلوق والذي ثبت في الفكر الحديث أنه يدلل على الجمال الكامل والتام حيث الوظيفة والجمال.

وإذا تتبعنا سورة الغاشية من الآية 17 – 26 لأيقنا المعنى الحقيقي للجمال. والذي يتجلى في تلك الكفاءات الكامنة في الكائنات المخلوقة لله تبعًا للمهام التي خُلقت لها والتي تظهر توائما مع الظروف المختلفة عند تعرضها لتلك الظروف في مراحل حياتها المختلفة.

ثانيًا: ماهية الفن من المنظور الإسلامي:

ذكر (لالاند) في قاموسه الفني للمصطلحات الفنية الفلسفية طائفة من الأفكار التي تدل عليها كلمة فن (Art) منها: أن من الفن ما يتعلق بالحِرف والصناعات، ومنها ما يتعلق بفنون التعبير، مضيفًا أن الفن هو ما تمثل في كل وسيلة اتخذها أحد المبدعين للتعبير عن الجمال، وبالتالي فإن الفن يكشف القيم الجمالية وهو الوسيلة لوضع معايير لهذه القيم.

ولما كانت الأصالة الفنية تعني التفرد والتميز ومن ثم فهي قرين الابتكار فإن الفنون الإسلامية في ظل ثورة المعلومات تكشف عن أسرارها القيمية من خلال عمارتها الإنسانية بكل ما تتضمنه من تقنيات فنية تؤكد أن مدلول القيمة يتمثل في كل ما يستقر ويستمر في نفوس البشر – وإغفال البعض لتأثير الفنون الإسلامية على الحركة الفنية في العالم – هو أشبه بمن يلفحه الهواء البارد ثم يدعي أن الطقس حار – أو العكس.

إن الفنون الإسلامية تتميز عن بقية الفنون بميزة استمدتها من العقيدة التي تقوم على العدل والتسامح مما أدى إلى ازدهارها في كل الأقاليم التي انتشرت فيها دعوة الإسلام، وإذا قسنا العمل الفني من منظور النقد الباطن بعيدًا عن مصدره أو مآخذه فإننا نستطيع استنتاج بان الفنون الإسلامية مهما تنوعت مصادرها أو اختلفت البقاع والعصور التي ازدهرت فيها أو الظروف التي أحاطت بها فإنها في جملتها فنون تنتمي إلى عقيدة واحدة وترمي إلى هدف واحد وتستمد كيانها من إلهام واحد وهو الإسلام، وأدى تنشيط الفنون الإسلامية لأغراض الإنشاء والتعمير في حدود طبيعة فنون كل إقليم إلى المنافسة الحضارية بين الشعوب التي استضاءت بالإسلام وإلى تبادل

السلع والصناع المهرة؛ للارتقاء بكافة الفنون التي يتناولها الإنسان لتسد حاجاته في الحياة "دون النظر إلى غرض من أغراض الدعاية [9] ، وأكسبت هذه المنافسة الفنون الإسلامية طابعًا موحدًا يتسم بسحر الجمال وسعة الخيال في استنباط وابتكار عناصر زخرفية لا مثيل لها في الفنون الأخرى، ولا عهد للفنانين غير المسلمين بها وليس من الصعب علينا بعد ذلك أن نعلم أن حضارة وفنون العالم الإسلامي إن اختلفت فإنما يكون اختلافها باختلاف الأقاليم التي قامت فيها، ولكن هذا لا يعني صحة ادعاء من يقولون مثلاً "إن عمارة المساجد في القاهرة تشبه أبنية المصريين القدماء" وعلى الرغم من التباين الواضح بين عناصر البناء الفرعوني والبناء الإسلامي فليس هناك ما يدل على وجود اقتباس أو وجه شبه بينهما علاوة على أن الأبنية الإسلامية في مصر لا يخضع لطراز واحد فمنه الطراز العباسي الأيوبي والطراز الفاطمي، والطراز المملوكي ثم الطراز التركي ولكل من هذه الطرز سماتها ومميزاتها.

ومن المعلوم أن كل طراز معماري في أي زمن من الأزمنة وعند أي شعب من الشعوب إنما يخضع لعاملين جوهريين هما:

1- الرمزية ، أي ما يتبع الميل والاختيار والتفضيل.

2- العضوية ، أي ما تقدمه الأرض من مواد صالحة للبناء.

الدلائل على الرمزية في التصميمات المعمارية الإسلامية:

- تميز التصميم الفارسي بالألوان الخلابة والدقة المتناهية.
- تميز التصميم في أسبانيا بكثرة الخطوط وتنوعها وبهاء الألوان وفخامة الزخرف.
- تميز التصميم في مصر بالوقار والجلال في غير إسراف في الزخرف أو اللون [10] .

الدلائل على العضوية في التصميمات المعمارية الإسلامية:

- أبدعت بلاد ما بين النهرين في بناء القباب والعقود المنحنية على شكل نصف دائرة، وتشييد البروج واستعمال مربعات من الآجر "القيشاني الملون" والمزخرف لتغطية الجدران المبنية من

الطمي وتقويتها – وذلك بديلاً عن الأحجار التي افتقرت لها البيئة فاعتمدت على المقومات القائمة بتميز واضح.

وبالنسبة للأسلوب الفني الذي ابتكره واختص به الفنان المسلم بعد مضي ثلاثة قرون، هو الأشكال الهندسية، وبرغم أنه لم يكن مبتدعًا له، إلا أن المنصف فنيًا لا يمكن إنكار مقدرته في طريقة معالجته لهذه الأشكال الهندسية وتوزيعها داخل المساحات بما يحقق التآلف والانسجام والذي يبدو كأنها اكتشفت لأول مرة.

وقد توصل الفنان المسلم إلى ذلك عن طريق تقسيم وتحليل الأشكال فتارةً نراها متشابكة وأخرى نراها متداخلة، وأحيانًا متلاحقة، وأخرى متباعدة – بما يؤكد أن هذا الأسلوب الزخرفي قد بُعث في ثوب جديد من الجمال ليس له مثيل من قبل على يد الفنان المسلم وتعد إبداعاته في هذا الإطار إضافة حقيقية للحضارة الإنسانية.

المحور الثاني: فلسفة فن وتصميم المنتجات الزجاجية الإسلامية :

من الأمور التي تستوقف الباحث في مجال القيم الجمالية والوظيفية، هذه العلاقة الوطيدة بين عناصر الفن الإسلامي وتصميم الزجاج الفني وكأن هذه العناصر أُبدعت في نور الإسلام ليتخللها النور فتكون بتقسيماتها وألوانها "نور مع نور" فتحل الفتحات المعمارية بأضوائها محل المشكاوات، والأشكال (1، 2، 3) تمثل أجزاء من فتحات معمارية، تآلف فيها الزجاج الملون مع الجص في تصميمات هندسية إسلامية أبدعها المصمم الفنان في ظل قيم

روحية أساسها "الإتقان – الصبر – الجدية"، تحركه المعرفة بالجمال الأزكي، فتأتي أعماله دليلاً على الدقة والرقة بجانب المنفعة.

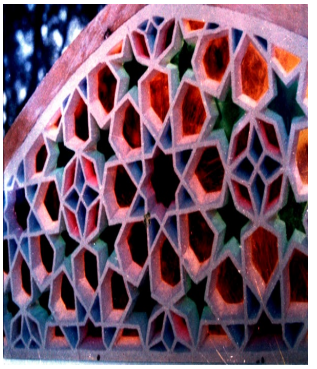

شكل (1)

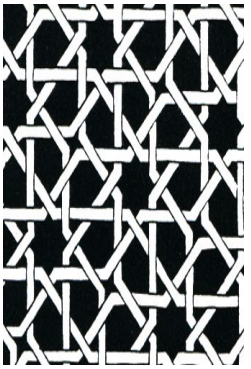

شكل (2)

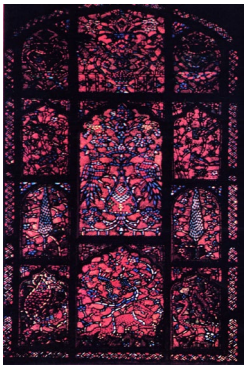

شكل (3)

وفي ضوء ما سبق يمكن استنتاج الآتي:

1- أن العناصر الهندسية الإسلامية قد أثرت تأثيرًا واضحًا في تصميم الفتحات الزجاجية المعمارية، لما لهذه العناصر من قدرة على التعايش مع المساحات الفراغية المختلفة.

2- العناصر الهندسية الإسلامية مصدر إلهام لمصمم الزجاج المعماري – فتارةً يستلهم من العنصر شكل البناء الأساسي للمساحة، وتارة يحول العنصر إلى شبكة من المنمنمات تظهر من خلالها الأضواء كالنجوم في السماء.

3- إن الدليل الواضح على تأثير العناصر الهندسية الإسلامية في تصميم الفتحات المعمارية يتمثل في مجال التقنيات الفنية الزجاجية المتنوعة والذي استخدمت تلك العناصر، فمن الزجاج المؤلف بالجص إلى الزجاج المؤلف بالخشب إلى الزجاج المؤلف بالرصاص..الخ.

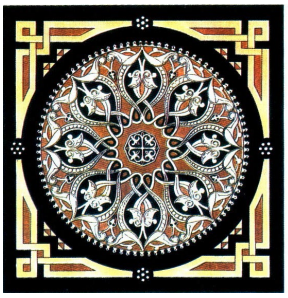

شكل (4)

وفي مجال تشكيل الفنان المسلم للزخارف النباتية – فقد قدم رؤية خاصة به شكلها بميزان دقيق يتوافق وينسجم مع المساحات المعمارية وأسطح المنتجات الزجاجية الفنية والأشكال (4، 5) تؤكد على أن الفنان المسلم صاحب أسلوب ظهر واضحًا في القرن الثالث الهجري في مدينة سامراء وامتد حتى العصر الحديث وقد أطلق علماء تاريخ الفنون اسم "أرابسك" عليه نسبة إلى أن العرب المسلمون هم أول من ابتكره [4] .

شكل (5)

كما أن استخدام الخط العربي كعنصر فني وزخرفي في الحشوات المعمارية والمنتجات الفنية الإسلامية قد حظي بعناية فائقة لاتصاله بالقرآن الكريم وعليه يمكن استنتاج أن الفنون الإسلامية استمدت قواها من روح الدين الذي يحرص على تأكيد القيم النافعة بعيدًا عن الاستعارات الفجة والتقليد الرخيص الأعمى، ولأنه لا يرى في الفن أنه أداة للنقل والتقليد – بل إبداع وابتكار في نسيج لا ينفصل دومًا عن القيم الروحية التي يدين بها – فتقوم أعماله على أسس الاتزان والتقابل والتماثل والإشباع ومعالجة الفراغ في إحكام دقيق وحس مرهف وشعور بقدسية ما يعمل مع الابتعاد عن المغالاة والمبالغة، ولكن إذا بدا منه بعض الإسراف فما ذلك إلا لحتميته وضرورته، كما يحرص على تحقيق المزاوجة بين الجمالية والنفعية في وحدة مشتركة، وكان هذا بمثابة فلسفة انطلقت من تعاليم الدين التي تدفع تجاه إتقان العمل قبل أن تُنشأ مدارس ومعاهد وكليات للفنون التطبيقية بجميع تخصصاتها لتتبنى هذه الفلسفة التي فرضت نفسها على الساحة العالمية، لما تُحققه من مكاسب إنسانية متعددة، لكل البشر باختلاف معتقداتهم.

ولو تأملنا الصورتين (6، 7) وعقدنا مقارنة بينهما لاتضح الآتي:

شكل (6)

1- الصورة الأولى: وهو عمل فني من الزجاج المؤلف بالرصاص من عصر النهضة، تجمع في تكوينها بين التشخيص وعناصر من الطبيعة، وارتبطت بموضوعات دينية جعلها الفنان كأساس لأعماله في هذا العصر – وقد اعتمدت في تشكيلها على التقسيمات الراسية الهندسية لتتناسب مع مبدأ الهيمنة والسيادة للشخوص التي احتلت مركزًا هامًا داخل العمل، وجاءت العناصر الأخرى مُكملة للعمل وموزعة بشكل يحقق الاستمرارية في الرؤية والتقسيمات الراسية لما فيها من شخصيات قد تبدو مختلفة من حيث التكوين الفني إلا أنها مستمرة من قسم لآخر بحيث تجعل العين معها في حالة من اللانهائية حتى ولو حدد الفنان عمله بإطار – فالعين يمكن أن تتخيل تقسيمات جديدة فوق ما صنع الفنان.

2- الصورة الثانية: وهي عمل فني من الزجاج المؤلف اعتمد فيه الفنان الإسلامي على التقسيمات الرأسية الهندسية – مضيفًا تقسيمات أفقية وجاءت المزهريتان لتمثل عنصر الهيمنة والسيادة بعيدًا عن التشخيصية ومحاكاة الطبيعة بتجريدية روحانية استمدها من مبادئ إسلامية، فغمرت اللوحة الألوان والمساحات المنمنمة تتعايش فيما بينها كما تتعايش الكائنات، وكأن الكون في عين المسلم يمكن أن يتمثل في مزهرية أو في مجموعة مجردة من الزهور والنباتات.

ولقد تقابلت اللوحتان معًا في التركيب البنائي والهندسية واختلفا في طبيعة العناصر ما بين المحاكاة والتجريد الروحي، مما يجعلنا نستنتج أن الفنان الإسلامي لم يرفض الفنون التي سبقته في حضارات أو عصور، ولكنه استلهم منها قيمة الجوهر من خلال

قوامها الكلي ليحقق رؤية جديدة تتناسب مع معتقداته الدينية، ويقوم فن وتصميم الزجاج عند المسلمين منذ القرن الثاني الهجري – الثامن الميلادي، وحتى العصري الحديث على مقومات حضارية أساسها إدراك المطلق والاهتمام بالنظر التجريدي في إدراك المحسوسات، والخروج من النسبي إلى الكلي في تحقيق وحدة تكاملية وتعددية جمالية.

شكل (8)

- والمتأمل للصورة شكل (8) وهي لشمعدان محلى بزخارف هندسية وخطية ونباتية بطلاءات زجاجية ملونة وبخطوط ذهبية.

- 648هـ - 250م، وقد راعى المصمم الفنان على إبراز جماليات اللون وتوزيعه بشكل يحقق الانسجام والإمتاع البصري، بأسلوب المنمنمات التي تميز به الفن الإسلامي – كما حافظ على القيمة الوظيفية ولم يجعلها هي الأساس فأغفل القيمة الجمالية، ولكنه جمع بينهما في تناغم فريد.

ويصف بعض الفلاسفة الفنان المسلم "بأنه لا يهتم أصلاً بنقل الحياة، وإنما ترمي نزعته العامة إلى تجريد المشاهد الحية في الطبيعة حتى لا يبقى منها إلا خطوطها الهندسية"، كما أنه يواجه الطبيعة التي يتناول عناصرها ويفككها إلى عناصر أولية يعيد تركيبها من جديد في صياغة عذبة، وهو لا يفكر في محاكاة الطبيعة لأن هذا هدف لا يعنيه ولا يسعى إليه وقد حقق فاعليته الفنية التي استشعرها في أعماله تعبيراً عن موقفه إزاء الطبيعة، واللا محاكاة بالنسبة إليه دعوة لتقديم أشكال جديدة ليس لها نظير في الواقع، والدلائل في ذلك كثيرة قامت لتحقيق التوازن بين المبادئ الشرعية والإبداع ومنها "الخزف ذو البريق المعدني".

وبتأمل الأشكال (9 ، 10 ، 11) وهي الثلاث مشكاوات من الزجاج المموه بالميناء – القرن الرابع عشر – العصر المملوكي – والتي استشعر فيها المصمم الفنان نور أحله وقدرته في الآية 35 من سورة النور "الله نور السماوات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كأنها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا

غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء ويضرب الله الأمثال للناس والله بكل شيء عليم".

فجاءت هذه المشكاوات وغيرها مُعبرة غاية التعبير عن إدراك المصمم للعلاقة ما بين القيمة الوظيفية (الإضاءة) والقيمة الجمالية (العناصر الفنية) وكيفية الدمج بينهما في مشهد إيقاعي بين العناصر الهندسية والخطية والنباتية – صعب أن نجده في فنون أخرى – وكلما زاد التأمل استشعرت الروحانية التي استشعرها الفنان المصمم في إبداعه التشكيلي مستحضرًا الخيال والفكر في معالجة الأسطح جماليًا وكأنك تقرًا "أنه آثر على نفسه إلا أن تكون تُحفًا تحمل في ثناياها المعنى الحقيقي للجمال من منظور إسلامي – فأصبحت بالفعل تُحفًا يحتضنها المتحف الإسلامي بالقاهرة.

شكل (9)

شكل (10)

شكل (11)

مما سبق يمكن استنتاج الآتي:

- تتحدد ملامح الفن الإسلامي في مخالفة الطبيعة لتأكيد مدلول اللامحاكاة والحرص على كل ما هو جديد ليس له نظير في الواقع – ومن الغريب أن يكون هذا الملمح هو الأساس في تشكيل فلسفة المدارس الفنية الحديثة – رغم اختلاف المخرجات الفنية بينهما.
- يعد التبسيط والتسطيح ملمح من ملامح الفنون الإسلامية.
- ملء الفراغات التشكيلية ملمح يدلل على كراهية الفنان المسلم للفراغ، فيشغله هو حتى لا يأتي آخر فيشغله بما يخالف العقيدة.
- المنظور الروحي ملمح استبدل الفنان المسلم به تصوير البعد الثالث والتعبير عنه بمضمون روحي للأشياء – على عكس الفنان الإغريقي أو فنان عصر النهضة الذي سعى دائمًا للتعبير عن الكمال الإلهي من خلال الكمال الإنساني – وهناك أمر هام في المنظور الروحاني، وهو أن الكائنات والكون كله موجود بالنسبة لله لأنه من صنعه وخلقه وليس وجوده قائمًا بالنسبة للإنسان، وهكذا فإن كل الموجودات ترى من خلال عين الله المطلقة، على عكس المفهوم السائد في أعمال الغرب والذي يجعل الأشياء والمشاهد مرئية من خلال عين الإنسان، وشتان بين رؤية شاملة ورؤيا ضيقة، بين رؤية الله ورؤية الإنسان لأن الله يملأ الوجود ويملكه.

المحور الثالث: ماهية التجريد في الفن الإسلامي وأثره على المنتجات الزجاجية:

أولاً: عناصر الشكل الفني في الفن الإسلامي:

- العناصر النباتية المجردة.
- العناصر والأشكال الهندسية.
- الخطوط والكتابات العربية.

والباحث في هذه الاتجاهات يجد أنها ترتبط بجانب علمي وآخر فني رياضي هندسي، وإذا كان الفن صدى المعتقدات وحقائق المجتمع مع محاولة لتحقيق الذاتية فإن فلسفة الفن الإسلامي واضحة عبر شتى مظاهر الفن التطبيقي بين الفسيفساء، والتطعيم، والمشربيات وفن الزجاج الإسلامي المجسم منه والمسطح" وصولاً إلى فن الخط العربي بأنواعه.

والمتأمل لهذه القطعة الفنية شكل (12)

شكل (12)

يلاحظ العلاقة الوثيقة بين الفنان الإسلامي وبين العناصر النباتية التي تدفقت على سطح المنتج لتحدث إيقاعات فنية تتوحد مع بعضها في شكل كما لو كان الوجود نفسه، وتقرأ التآلف ما بين الصغير والكبير والاتزان في حركة هندسية مدروسة أساسها التجريد الروحاني وفي هذا الشأن يمكن لنا أن نستدعي نظرية النقد الباطن لتوضح لنا القيم الجمالية التي تكمن في هذا العمل بعيدًا عن مبدأ المحاكاة الذي طال الإيمان به وليس بغيره لحقبة طويلة من الزمن في الغرب ثم عاد ليغير مفهومه عن الفن فكانت البداية مع المدارس الفنية الحديثة، التي اعتبرت المحاكاة نوعًا من الحرفة الفنية وهي ليست من الأصالة في شيء، حيث الأصالة هي التفرد والتميز ومن ثم فهي قرين للابتكار" وعليه فإن الفنان المسلم كان أصيلاً مبتكرًا وهي صفة أساسية من صفات الفن.

وإذا كان هذا البحث وغيره يدافعون عن الفن الإسلامي ضد الهجمة غير المبررة – ذلك لأن الفن الإسلامي نتاج لا ينفصل عن الحضارة الإنسانية على الأرض، فقد تأثر بالبيئة التي عاش فيها ونسج منها وفيها لنفسه طابعًا خاص فأثر فيما حوله.

وبتحليل شكل (13) وهو منتج زجاجي ذات طابع فني أنتج خلال القرن الرابع عشر الميلادي في مصر – وتقرأ من إحداثيات الخط الخارجي له ملامح "المشكاة"، إلا أن التقنيات الفنية الزجاجية تثبت تقدم الفنان المسلم وجرأته في التشكيل – فاستخدامه للزجاج الملون (الأزرق والأصفر والأبيض) يدلل على قدرته في أسلوب مميز من الدمج الفني الذي يحتزى به في العصر الحديث.

شكل (13)

شكل (14)

والمتأمل للشكل (14) وهي بعض من أعمال فنان غربي، نجد تأثره بشكل مباشر أو غير مباشر بالإحداثيات الخطية للشكل الخارجي (13) وأيضًا بأسلوب الدمج الفني بين الزجاج الملون – و عليه يمكن تأكيد أن فن الزجاج الإسلامي أثر بشكل واضح على منتجات الزجاج الفني في أنحاء شتى من العالم.

* وإذا تتبعنا المقومات الكلية في أعمال الفنان الإسلامي نلاحظ أن استخدام اللون كمقوم بنائي وكلي جاء تحقيقًا لمنطلقات جمالية أساسية فكثرة استعمال اللون الأخضر والأزرق هو انعكاس للطبيعة والسهل والخصب، في حين أن استعمال اللون الذهبي انعكاس لأجواء الجنة وهي الهدف في الإسلام – كما أدرك أن اللون الأحمر يتممه الأخضر لراحة العين واللون الأسود يمثل الليل بسكونه والأبيض ضوء النهار الذي يحتوي كل ألوان الطيف

وبتأمل شكل (15) وهو شكل لطبق نجمي هندسي.

نجد أن الفنان المسلم قد استخدمه في داخل العمارة وخارجها – فتارة في تصميم سجادة، بوابة معمارية، أو في تصميم نافذة من الزجاج الملون أو في مجال التطعيم.... الخ.

وما زالت هذه الأطباق النجمية مصدر إلهام للفنانين الزجاجيين والخزافيين وغيرهم حتى عصرنا الحديث.

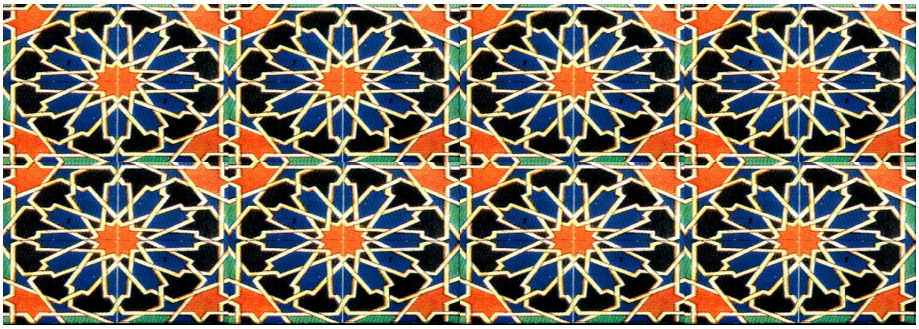

شكل (15)

* **وعن الملامس** كأحد المقومات الكلية في بناء الأعمال الفنية، فإن الفن الإسلامي من أغنى الفنون في التنويع بالملامس على الجدران المعمارية وكذلك في الأعمال الفنية وذلك من خلال وفرة الزخرفية المختلفة والبارز والغائر وتكتل العناصر الخزفية في أماكن فراغية من العمل الفني أو المعماري يوحي للمتلقي بالملمس البصري المتنوع.

كما أن الإيقاع عند الفنان المسلم يعتمد على التناظر والتبادل كما يعتمد على الخط اللين والهندسي وتعدد المساحات في توزيعها وتنويعها بالإضافة إلى وجود الإيقاعات الخطية.... ونلحظ ذلك جليًا في تصميم "المحراب" ما بين "القاهرة – مصر" وبين "سمرقند – أوزبكستان" شكل (16)، شكل (17) وغيرهما في أنحاء متعددة من العالم.

والعين القادرة على استنباط القيم التشكيلية تستطيع الإقرار بأن هذه التصميمات الإسلامية تُعد من الركائز الهامة في دراسة أساسيات تصميم الأسطح المعمارية وكذلك أساسيات في معالجة الفراغات المساحية.

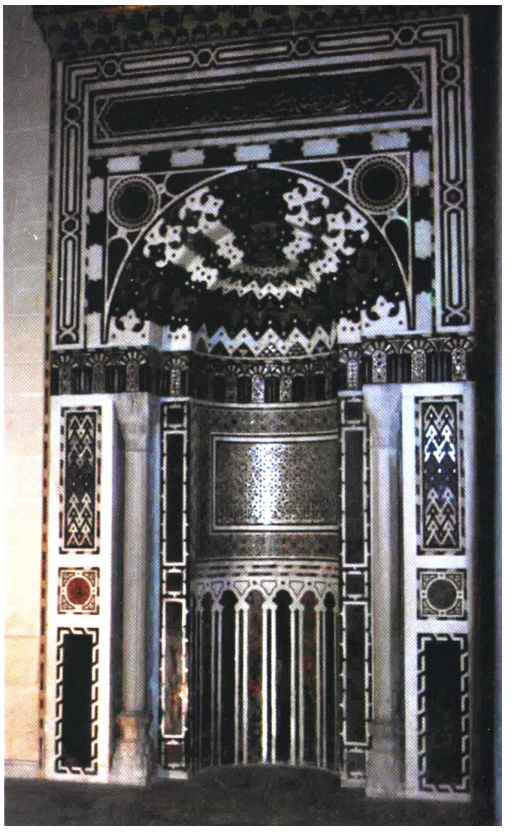

شكل (16)

شكل (17)

ثانيًا: أثر الفنون الإسلامية على المنتجات الفنية (التطبيقية، والمعمارية):

- **بتحليل العمل التطبيقي شكل (18)** وهي عبارة عن سجادة من طراز (جاي) مصنوعة في تونس.

ويلاحظ في التشكيل الفني لجوء الفنان التطبيقي إلى البساطة والتجريد مع وجود درجة عالية من الإيقاع بالخط والمساحة واللون – وتعتبر مثل هذه الأعمال بمثابة رؤية فنية للفنون والإيقاع الحركي والذي استفاد منه الكثير من الفنانين العالمين وفناني ومصممي الزجاج يستلهمون من هذا الفكر الفني بما يتلائم مع التقنيات الزجاجية المتنوعة.

- **والعمل التطبيقي شكل (19)** وهو من أعمال التطريز الإسلامي المصري وفيه يمارس الفنان إبداعه باستخدام التنغيم بالخط واللون والمساحة بعيدًا" عن المحاكاة، قريبًا من أعمال الفنانين العالميين أمثال بيكاسو – وبالرغم من ابتعاد الفنان عن مضاهاة العناصر الهندسية أو النباتية الإسلامية – لكنه استطاع أن يشعر المتلقي بصريًا بالروح الفنية الإسلامية.
- **والعمل التطبيقي شكل (20)** هو عبارة ع باب لكنيسة القديس بطرس في مدينة هيرو بفرنسا ويتضح مدى تأثر المصمم بالكتابة الكوفية في صياغته للزخارف – مما يدلل على أن عناصر الفن الإسلامي مصدر إلهام لكل فناني ومصممي العالم مهما اختلفت عقائدهم.

شكل (18)

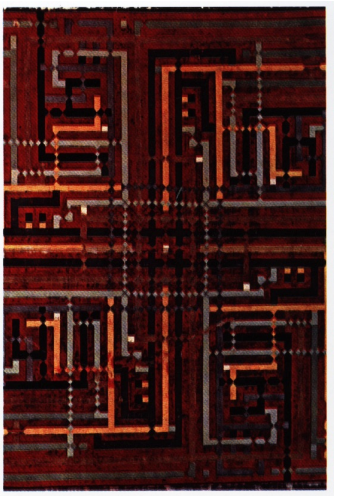

شكل (19)

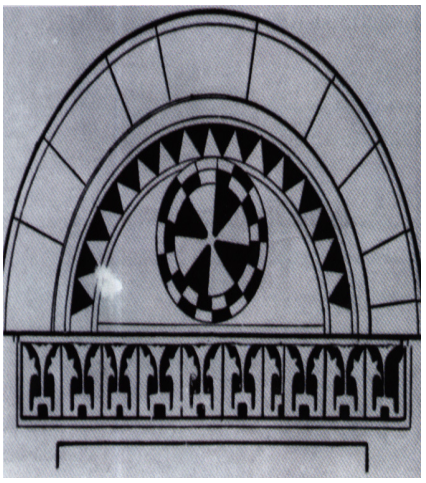

شكل (20)

ثالثًا: أثر الفنون الإسلامية على أعمال بعض فناني أوروبا:

شكل (21)

- **بتحليل العمل الفني شكل (21)**

وهي أحد أعمال الفنان الإيطالي أنطونيو بريدا.

وقد جمع فيها من القطع الفنية العربية الإسلامية ما جعلها لوحة تسجيلية لما كان عليه فن الخزف المصري في الربع الأول من القرن السابع عشر، وترى ما يؤكد تفوق الفنان التطبيقي المسلم في تشكيله للأواني وما يمكن أن تُحدثه من إيقاع بصري مُمتع وذلك من خلال اللون والملمس والخطوط والأحجام والإجادة في توزيع العناصر الهندسية الإسلامية على أسطح تلك المنتجات، ولا يمكن أن نغفل مقدرة الفنان "أنطونيوبريدا" في إجادته الفنية لهذا العمل، ويهمنا في هذا السياق أن نؤكد على أن الجمال الكامن في تلك القطع من الفن التطبيقي والتي احتوتها اللوحة هي التي دفعته إلى تسجيلها لتصبح بمثابة دليل اعتراف على ما تحمله الفنون الإسلامية من قيم جمالية تستنهض روح وعقل الفنان أيًا كان مكانه وزمانه.

شكل (22)

- **والعمل الفني شكل (22)** لكارل هاج 1886م – هي بمثابة مرآة تعكس جمال وروعة وحيوية الفن الإسلامي في معالجة الواجهات المعمارية وما تحمله هذه المعالجة من تأكيد للمقومات الكلية للأعمال الفنية ينم عن معرفة المصمم المعماري للجمال الأزكي وقد رسمها الفنان قبل ظهور المدارس الفنية الحديثة – وتشير إلى أن المدارس الفنية الحديثة قد تأثرت بفلسفة الفن الإسلامي، بفضل ما يحمله من فكر حمله بعض الفنانين من المستشرقين الذين أتوا إلى مصر وغيرها وعادوا بهذا الفكر مؤثرين في حركة الفن ببلدانهم.

- **ومما سبق يمكن استنتاج ما يلي:**

- أن التجريد والرمز صفتان متلازمتان في الفن الإسلامي بجميع جوانبه وأنواعه.
- أن التجريد من منظور إسلامي – هو تجريد مطلق ولا نهائي غير محدود بانطلاقات حرية وأبعاد الرؤية البصرية للموضوعات الطبيعية.
- يحكم التجريد في الفنون الإسلامية قوانين الإيقاع الرياضية تلك القوانين التي تعتبر الجوهر الأساسي للإيقاعات الموسيقية ومن هنا يكتسب التجريد الإسلامي سحره.
- الرموز في الفنون الإسلامية هي رموز أكثر شمولية تجاوزت الرمز الخاص إلى العام واستطاعت هذه الفلسفة أن تمنحها فردية وتميز عن بقية الفنون.
- إن الشعور بالغبطة الدائمة أمام الفن والعمارة الإسلامية إنما تمثل الفرح الممزوج بالدهشة أمام هذا الجمال الذي يمنح النفس السكينة الروحية.
- التكرار صفة أصيلة وعميقة الجذور في العقيدة الإسلامية، انعكست على هيئة الفنون لأنها صفة ارتبطت بنيويًا بالمقاييس الحسابية اللازمة لتحقيق التناظر فهي تخضع لقوانين هندسية حتى يتولد تناظر من التكرار يتتابع ولا ينتهي في أسلوب يضفي إحساسًا بالجمال والجلال.
- لو نظرنا إلى موقف علماء الجمال والفنانين المعاصرين من مشكلة العلاقة بين الفن والطبيعة لوجدنا الاتجاه السائد بينهم يميل إلى رفض نظرية التقليد أو المحاكاة بدعوى أن المهم في الفن هو الرغبة في خلق عالم متصل من الصور الحيوية على حد تعبير "هربرت ريد" لا مجرد الاقتصار على تسجيل المناظر الحية أو التعبير عن الحقائق الموضوعية، ولعل هذا ما استهدفه فلسفة الفن الإسلامي والكثير من فنانو المدارس الفنية الحديثة أمثال بيكاسو وبراك وغيرهم.

المحور الرابع: اثر الفلسفة الإسلامية على الفن والتصميم في العصر الحديث:

أولاً: فنون الغرب في ضوء الفلسفة الإسلامية:

حينما ابتعد الفنان المسلم عن محاكاة ذوات الأرواح، فهو لم يبتعد عن الإبداع والابتكار – فلقد كان سباقًا للغرب في فهمهم لطبيعة الفن ، وآمن أن الفن ليس أداة تصوير كالكاميرا – ولكنه مخلوق فضله الله بالعقل عن جميع مخلوقاته – لقد شكل من كل غث ثمين، فمن الطين شكل أروع التحف الخزفية، ومن مصهور الزجاج شكل أروع المجسمات الفنية التطبيقية والتي تدلل على إبداعه الفكري.

ولقد كان وما زال مبدأ تحويل الغث إلى ثمين من ركائز الفنون الإسلامية فقطعة الزجاج الملون أو بقايا منها تتحول بين يديه وبفكره وإبداعه إلى قطعة فنية متميزة تحمل في طيات أسطحها قيم تشكيلية تناغمية تحتاج إلى قراءة صحيحة ومنصفة للحكم عليها في مقابل أي عمل فني يرى فيه المعاصرين من فناني الغرب أنه يحمل قيمة – أنظر الأشكال (31،32).

وإذا كانت مدارس الفن الحديث قد صاغت لنفسها فلسفة جديدة تخلت فيها عن تمثيل الواقع أو محاكاته، وتبني فكر جديد – تمثل في الرؤية التشكيلية المجردة فإن الفنون الإسلامية قد سبقت في ذلك وأحدثت ثروة هائلة في شتى مجالات الحياة الفنية، والتراث المعماري الإسلامي خير دليل على ذلك، وما تحويه المتاحف في شتى أنحاء العالم من تحف تطبيقية إسلامية دليل آخر على أن الفنون الإسلامية هي بمثابة كنز لا ينضب لكل فنان باحث عن القيمة والقيمة المضافة – ينهل منهما كيفما شاء له خياله وفكره.

- يقول الله سبحانه وتعالى "لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم"، ويقول سبحانه وتعالى "وما خلقت الإنس والجن إلا ليعبدون" والعبادة تكمن في الأقوال والأعمال – والفنان مخلوق لله.

والإنسان خليفة الله على الأرض، والله جميل يحب الجمال، أي جمال؟

الجمال الذي يُعمر ولا يدمر، الجمال الذي يحقق العدل والخير للبشرية، الجمال الذي يفسد على الشيطان وتابعيه مكائدهم – بتزيين الرذيلة وتقبيح الفضيلة واعتبارها نوعًا من التخلف، ويكفي أن نقول لمن لا يعترفون بتأثير حرارة الشمس تعالوا إلى صيف أسوان وزوروا معابدها وإلى القاهرة لترو مساجدها، فعين الفنان التي لا ترى في الفنون الإسلامية قيمة فنية، أفضل لها أن تُبصر الشمس لتُعمي بضوئها.

وإذا كانت دوافع هذا البحث تكمن في تحليل البعض من الفنون الإسلامية واستنباط تأثيرها على فنون العالم – فقد لاحظ الباحث أن تضارب الغرب في مفاهيمه وفلسفاته حول الجمال – رغم ما تمثله هذه الفلسفات من جهد فكري إنساني، إلا أنها أحدثت تشتتًا في أفكار الناس، ووضعتهم في متاهة نفسية وعقلية، تحيزت كل مجموعة مُبدعة إلى معتقداتها الفلسفية، وحينما نهض الإسلام أوضح السبيل إلى تضييق فجوة المتاهة النفسية والعقلية بطرح الفهم الصحيح للجمال الحقيقي من خلال نماذج تطبيقية تمثلت في العمارة وفنونها، وتأثرت الحركة

الفنية عالميًا بهذا الفكر الإبداعي الجديد، ويمكن قراءة هذا التأثير في أعمال الكثير من الفنانين العالميين أمثال "هنري ماتيس، بابلو بيكاسو، وكاند نسكي، وموندريان.... وغيرهم.

والمجادلة في هذا الأمر قد تجعلنا نقول "إن لم يسبب كرسي "فان جوخ" في لوحته الشهيرة قدرًا من الراحة الجسدية والنفسية وقدرًا من الإمتاع البصري فما حاجته له، وما حاجتنا إليه". فهل صارت كل أعمال هؤلاء أوثانًا لنعبدها – وقد كفرنا بالأوثان من زمن بعد دلائل الرحمن في الكون؟!

إن الفنان المسلم تقبل فنون الآخر وبحث عما تتضمنه من قيم جوهرية تتناسب مع عقيدته فأضافها لفكره، فتشكلت ذاته لتجمع بين الأصيل من فن الإنسان على الأرض ورؤيته الفنية التي يطرحها كونه خليفة الله على تلك الأرض.

ويشير الباحث في ضوء ما سبق إلى موقف عاصره بنفسه، ففي عام 1983م حضر إلى قسم الزجاج بكلية الفنون التطبيقية بمصر الفنان "نيلس ندرجورد" وهو هولندي الأصل – أتيح له مزاولة نشاطه الفني داخل القسم، وكنت وقتها بمرحلة الماجستير، لاحظت اهتمامه الشديد بالأشكال النجمية الإسلامية، ويقوم على دراستها بشغف وحب، تحدثت معه في هذا الشأن فقال: لقد زرت مصر قبل ذلك للسياحة وأثناء تجوالي في وكالة الغوري وحي الحسين ومنطقة خان الخليلي بالقاهرة – تأثرت فنيًا بأشكال وجمال عناصر الفنون الإسلامية وأشار إلى الأشكال النجمية التي أمامه، وبعد عودتي لبلادي كانت نفسي تُلح عليا بالعودة مرة أخرى إلى مصر لدراسة هذا الفن.

وسألته... ما الذي وجدته من جديد في الفنون الإسلامية؟
أجاب: هذا الفن يأخذك إلى عالم من التفكير الإبداعي بلا نهاية.
والصورة شكل (23) للفنان وهو يمارس نشاطه الفني وفي الخلفية أحد أعماله في مجال الزجاج المؤلف بالجص والصورة شكل (24) تمثل رؤيته الفنية للأشكال النجمية الإسلامية وقد أخذت أبعادًا فكرية معاصرة – مستخدمًا اللون كعنصر أساسي لإحداث الإمتاع البصري في حدود لا نهائية، تدلل على قدرة الفنون الإسلامية على إلهام الفنان.

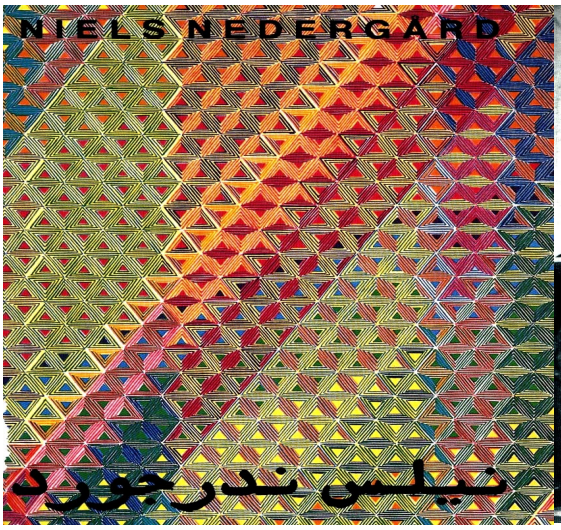

شكل (24)

شكل (23)

ثانيًا: أثر الفلسفة الإسلامية على الفنون المعاصرة في العالم العربي:

إذا كان الفن "حالة" يتوحد فيها الفنان وجدانيًا "وعقليًا" مع ذاته، ومستحضرًا عظمة الله في خلقه، ومدركًا لحقيقة الابتكار ومقوماته – فإن إنتاجه الفني سيستقر ويستمر – لصفة الأصالة التي توحدت معه حينما توحد بصدق مع ذاته فاستحضرت تلك الذات ماضي وحاضر أمته، فأصابته حالة من الشجن بآمال تلك الأمة – فتفاعل بقدر ما تمردت ذاته وأسقط هذا على الأرض ليصبح عملاً فنيًا يؤكد قوة شخصيته الفنية قبل مهارته الحرفية.

والفنان العربي حينما تسأله عن الفنون الإسلامية، حتمًا سيحدثك عن (الالتزام – الإتقان – الصدق – الجدية – البعد عن التقليد "المحاكاة") كل هذه المفردات هي نفسه تمثل استحضارًا دائم للذات العلية ، فيتشكل عالم إبداعه بملامح روحانية – ليست بعيدة عن مقومات العصر ولكن فريدة في طرحها.

لقد تعلم الفنان المسلم من القرآن ما هو الجمال الحقيقي وأخذ من آياته ما يدلل على ذلك – يقول الله سبحانه وتعالى في سورة الغاشية (الآيات 17 – 26)

{أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خُلِقت * وإلى السماء كيف رُفعت * وإلى الجبال كيف نُصبت * وإلى الأرض كيف سُطحت * فذكر إنما أنت مذكر * لست عليهم بمصيطر * الآن من تولى وكفر * فيعذبه الله العذاب الأكبر * إن إلينا إيابهم * ثم إن علينا حسابهم}.

أثر القيم الجمالية في الفن الإسلامي على تصميم المنتجات الزجاجية الفنية – المحلية والعالمية :

في هذه الآيات تتجلى كل المناهج، فمن "أفلا ينظرون" يتجلى الاستقراء، ومن "كيف خلقت"، و "كيف رفعت"، و "كيف نصبت"، و "كيف سطحت" يتجلى التحليل والتجريب والاستنباط، في موضوعات كالإبل، والسماء، والجبال، والأرض.

وفي ضوء ذلك تعلم الفنان المسلم أن يأتي بجديد مستخدمًا في إبداعه أداة الاستفهام "كيف" الإبداعية – لا "كيف" المحاكية.

ومن هؤلاء الفنانين العربي التي توافقت أعمالهم مع هذه الفلسفة:

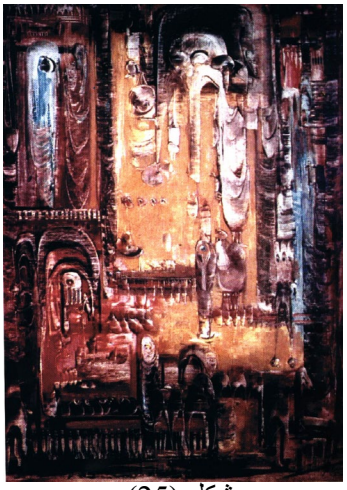

شكل (25)

- **الفنان صلاح طاهر** – ولوحته شكل (25) والتي يستحضر فيها ذاته متوحدًا مع أصالة العربية الإسلامية ومدركاته البصرية للعمارة الإسلامية ومباني الأحياء الشعبية الظاهرية، فكان رائدًا لـ "كيف" الإبداعية، وبالتالي كانت لوحته دليلاً على الأصالة والمعاصرة.

شكل (26)

- **الفنان عمر النجدي** ولوحته شكل (26) والتي استحضر فيها المجال من المنظور القرآني فجائت كما لو كانت تسابيح كونية بحروف عربية، وتحمل كل مقومات العمل الفني النباتية والكلية من تنوع واتزان وتناغم – والضوء في اللوحة يتدافع كما تتدافع الأمواج في سكون اللي وروحانية ذكر "الله" – والجميل في أعماله أنها ذات بناء تصميمي متكامل لا يصعب تنفيذها من خلال أية تقنية فنية تطبيقية (خزف – زجاج – معادن ....الخ)

ولا يمكن لهذا البحث وحده أن يتسع لتحليل الثروة الفنية من أعمال الفنانين العرب – فهم كثيرون . ومنهم على سبيل المثال الفنانين (محمد طه حسين، صالح رضا، عبد المنعم معوض، رمزي مصطفى، محمد غنيم، هدى راجح علوان، أبو راسين، أحمد المغلوث، تركي محمود .....الخ – وهذه نماذج من بعض أعمالهم تدلل على مدى تأثرهم بالفلسفة الإسلامية في طرح الإبداع الفني.

الفنان/ محمد بجه حسن

الفنان/ صالح رضا

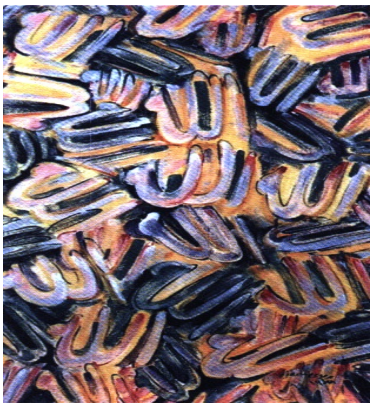

الفنان/ عبدالمنعم معيط

الفنان/ هرمس تحسن كي

ثالثًا: أثر الفنون الإسلامية على بعض فناني ومصممي الزجاج المعاصر في مصر:

بعد عودة كل من الفنان المصمم أمين محمد أمين والفنان المصمم إبراهيم حفني من بعثتهم الخارجية ومع نشأة جامعة حلوان 1975م – بدأ تخصص الزجاج بكلية الفنون التطبيقية في النهوض، مستلهما في نهضته عراقة التراث المصري والإسلامي وتوالت الأبحاث العلمية والأعمال الفنية المعاصرة التي تستلهم من التراث ملامحها وتتأكد هذه الملامح عامًا بعد آخر ليتأكد تأثير الفن الإسلامي على العديد من فناني هذا التخصص الفريد، والغني بتقنياته.

- ومن الفنانين الذين تأثروا بالفنون الإسلامية في إعمالهم – الفنان المصمم عزت سليم وهو من أساتذة فن وتصميم الزجاج في مصر الذي جاءت أطروحته في الدكتوراه خير دليل على تأثير الفنون الإسلامية في تشكيلاته الحرة للزجاج بصفاء ونقاء ما بين اللون الأخضر والأزرق.
- **والفنان المصمم مصطفى عبد الرحيم** وهو من أساتذة فن وتصميم الزجاج بمصر وقد أحب الحرف العربي الإسلامي فشكل منه أعمالاً فنية شديدة الدقة وغاية في الرقة فجاءت ملامح أعماله "إسلامية – صوفية – معاصرة" والشكل (27) من أعمال الفنان في مجال فن الزجاج المعامل كيميائيًا مع استخدام ظاهرة الإزالة في طبقات الزجاج الملون عن طريق حامض الهيدروفلوريك.

شكل (27)

- **الفنان المصمم عز الدين عبد العزيز حسن –**

وهو من أساتذة فن وتصميم الزجاج – وتتسم أعماله بالتجريدية الإسلامية الروحية بأبعادها الكلية، وهو من الفنانين الذين جمعوا في بناء أعمالهم بين الزجاج والخامات المتنوعة في تناغم واتزان، وتوصف أعماله بأنها "سحر لتكوين في جمال التفاصيل" والعمل شكل (28) من أعماله 1989م من الزجاج الملون والمصبوغ والمؤلف بالرصاص – تحت مسمى إنطلاقة.

وفيها تأثر الفنان بالفلسفة الإسلامية في مجال الإبداع فكان عمله صادقًا في طرح العلاقة بين الطبيعة وروح العصر في ضوء مفردات وبناء تشكيلي قائم على تأكيد العلاقة بين الكتلة والفراغ.

شكل (28)

شكل (29)

الفنان المصمم محمد زينهم وهو من أساتذة فن وتصميم الزجاج والذين تأثروا بشكل كبير بالزخارف الإسلامية فحولها من علاقات هندسية إلى نوافذ وقباب زجاجية تعكس ألوانًا روحانية داخل وخارج الأبنية المعمارية الإسلامية وتعد أعماله علامة كلل متذوق يستمتع بصريًا بجلال وجمال ألوانها وفي الشكل (29) وهي قبة بمسجد النور بالقاهرة – من الزجاج المؤلف بالرصاص والتي دمج فيها بين العناصر النباتية والهندسية بقدرة تقنية عالية، تحدث في النفس نوعًا من التراجيديا الناعمة التي تسري في النفس فتنزع منها الألم وتحوله إلى نوع من الغبطة وللفنان العديد من الأعمال التي تأثر فيها بالفنون الإسلامية والتي تقرأ فيها البيئة المصرية بروحانية إسلامية بين الخط والمساحة والإيقاعات اللونية وفي مجال التصوير بالموزابيك الزجاجي تقترب أعماله في سماتها العامة من أعمال الفنان "ماتيس" ولكن بفرادة إسلامية مصرية.

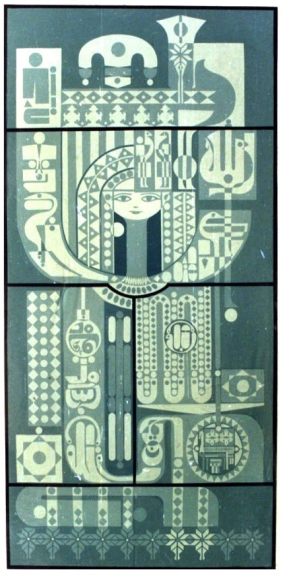

شكل (30)

الفنان المصمم أبو العباس عزام

– وهو من أساتذة فن وتصميم الزجاج ومن الباحثين في التراث المصري والإسلامي من خلال رسالة الماجستير الدكتوراه والعديد من أبحاثه، والتي لا تخلو من دلالات ورموز تراثية، ويتجه بأعماله المعاصرة نحو تأكيد فلسفة الجمال من المنظور الإسلامي والعمل الفني شكل (30) وهي من أعماله .

وهي التي استلهم فيها من روح التراث وعناصره ما يؤكد قدرة هذا التراث على إلهام الفنان في إبداعاته، بعيدًا عن المحاكاة وتقرأ في هذا العمل حوارًا بين الكتلة والفراغ وإشباع الكتلة بتفاصيل متداخلة، جمعت بين العناصر الهندسية والنباتية وبعض الكائنات الحية المجردة، والفنان يرى أن للتصميم جماليات يجب أن لا تشغله الوظيفة عن تحقيقها وأنه كلما اهتم المصمم بالمقومات البنائية والكلية للعمل الفني – أدى إلى قابلية تطبيق التصميم بأكثر من تقنية فنية زجاجية وإذا كان هذا العمل قد تم تطبيقه في فتحة معمارية باستخدام ظاهرة الدفع بالرمال الناعمة – إلا أنه يمكن تطبيقه بتقنيات أخرى مثل (الموازيك الزجاجي، الزجاج المؤلف بالرصاص.... الخ) ومع أن لكل تقنية فنية مدخلاتها إلا أن التصميم الجمالي يثبت ذاته كالممثل القدير مع كل شخصية.

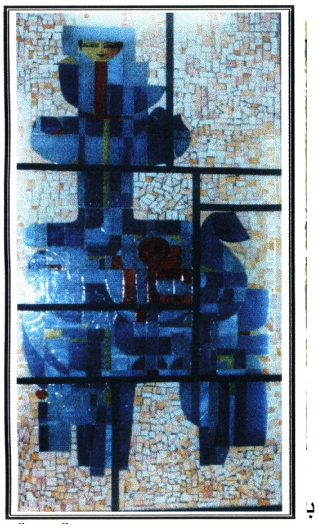

شكل (31)

العمل الفني شكل (31) وفي يحاول الفنان إثبات قدرة الفنان الإسلامي على تحويل "الغث إلى ثمين" فمن بقايا الزجاج الملون تشكلت الكتلة وتشكل الفراغ لينفذ الضوء محققًا المتعة البصرية – ويعد هذا العمل من النماذج الفنية لمعالجة الفراغات المعمارية، تأثر الفنان فيه بالتراث الشعبي المصري والروح الإسلامية.

والعمل الفني شكل (32) تأثر فيه الفنان بـ تكيله للأواني وحواره مع الفراغ من خلال العناصر الهندسية والنباتية – ودمج بين تقنية الحفر على الزجاج واستخدام الملونات الزجاجية الشفافة وحتى يثبت مصداقيته الفنية في تصميمه للشكل ومدى ما يحمله من تأثير شعبي وإسلامي، غير في وضع الشكل (جعل القاعدة هي القمة والعكس).فاستجاب له الشكل بهذه الكيفية في شكل (33) وتحول إلى عروسة شعبية تحمل على صدرها اسم الله .

- والأشكال (34، 35، 36) تمثل دليلاً واضحًا على قدرة التراث الإسلامي في إلهام الفنان التطبيقي لتحقيق أقصى عائد جمالي ونفعي – فمن النجمة الإسلامية استنبط المصمم أواني لتقديم الطعام يمكن تشكيلها في صور مختلفة (سداسية الأضلاع، ثمانية الأضلاع... الخ) لتحقيق الإمتاع البصري بجانب الكفاءة الوظيفية وهي من أعمال المصمم عام 1991م.

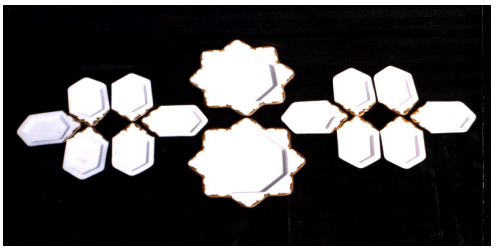

شكل (34)

شكل (35)

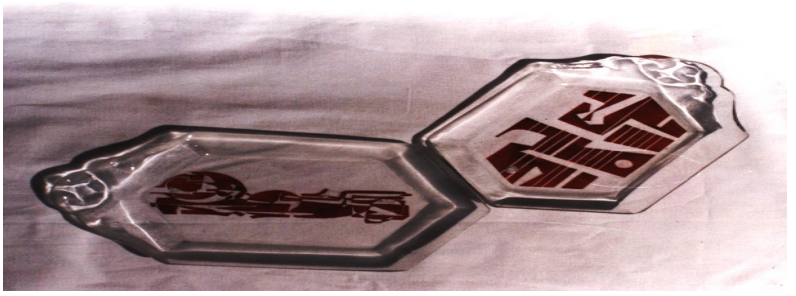

شكل (36)

نتائج البحث:

1- إن انتشار الإسلام في أنحاء شتى من العالم قد أعطى للفنون الإسلامية ملامح متفردة، حيث أعطى الفنان المسلم في كل مكان على البسيطة تواجد فيه الإسلام عطاءً من نفسه وذادًا للجنة التي وعد الله بها المخلصون، توحدت تلك العطاءات لتشكل قوامًا لحضارة عالمية إسلامية لا مثيل لها في الفنون الأخرى، تلك الحضارة التي وعت حقيقة الجمال فألهمت الفنان الملتزم من روحها فتألقت أعماله بين الماضي والحاضر. وتشهد متاحف العالم على هذا التألق – كما أن العمارة الإسلامية على اختلاف طرزها تشهد على عبقرية التوحد الفكري في المعالجات الفنية المعمارية.

2- كراهية الفنان المسلم لمحاكاة ذات الأرواح – دليلاً على عبقرية تعاليم الدين الإسلامي – لا على تخلف المسلمين كما يتشدق البعض فقبل أربعة عشر قرنًا من الزمان جاء الإسلام ليحث العالمين على التفكر والتذكر والتعقل وكلها ركائز أساسية للإبداع، فشكل التفاحة قد يُمتعك بصريًا والمتعة البصرية في حد ذاتها لا تُمثل إلا شِقًا من الجمال ، والأزكى في التفاحة أن تجمع بين الشكل والطعم والرائحة – آمن بهذا الفكر الفنان المسلم فلم ينشغل بمحاكاة مخلوقات الله مُركزًا فيما يكمن من كفاءات في تلك المخلوقات، ثم تأتي المدارس الفنية الحديثة والتي ظهرت ملامحها في العالم الغربي بعد ظهور علم البصريات والكاميرات لتبتعد عن المحاكاة وتبحث حول الجديد المجرد.

3- تُعدّ العناصر الهندسية والنباتية الإسلامية وتنوع الخطوط العربية بين "الخط الكوفي والديواني والفارسي والثلث" كنزًا لا ينضب – يستلهم منه المبدع الحقيقي كل جديد يشبع حاجاته البصرية والإنسانية، وإذا كانت العمارة هي أم الفنون فإن العمارة الإسلامية هي خير مرشد لتلك الأم بما تحمله من خصائص مادية وروحية.

4- لقد تأثر فن وتصميم الزجاج بالفنون الإسلامية فتعددت تقنياته الفنية بهدف الإمتاع البصري وإشباع حاجات الإنسان.

5- يتميز الفنان المسلم في أعماله بتحقيق الدقة والرقة والتي يصحبها الإتقان والالتزام، وهذه المزايا يمكن أن تكون قاعدة أساسية لتحديد ما يمكن للعالم الإسلامي أن ينتجه وينافس به الغرب.

6- تأثر فن وتصميم الزجاج المعاصر بفلسفة العمارة الإسلامية ونشأت مراكز فنية تقوم على صياغة الحلى الزجاجية ذات الطابع الإسلامي، مراكز فنية أخرى تهتم بالتكسبات الزجاجية، وأيضًا مراكز إنتاجية متخصصة في تصميم وإنتاج وحدات الإضافة ذات الطابع الإسلامي.

7- أُثرت الفنون الإسلامية في فناني العالم المتقدم ماديًا فتحول الإيمان بالمحاكاة إلى اعتبارها نوعًا من أنواع الحرفة الفنية وقد أثبت البحث ذلك في محوره الرابع والخامس.

8- دلل البحث بالتحليل على أن الجمال الحقيقي من المنظور الإسلامي هو الجمال الأزكى والذي به يستقيم المخلوق مع الخالق فيتحقق العدل والخير للإنسان "خليفة الله على الأرض".

9- تأثر الفنان والمصمم في العالم العربي بالفكر الإسلامي فأنتج أعمالاً متفردة تضارع أعمال فناني الغرب وتتميز عنها بروحانية في التعبير.

10- لقد تأثر الفنانون المصريون في العصر الحديث بالفنون الإسلامية بشكل واضح وقامت الكثير من الأبحاث العلمية على دراسة فلسفة الفنون الإسلامية في شتى المجالات البحثية التخصصية وأكدت معظم هذه البحوث على أهمية التراث الإسلامي في مجال الإبداع الفني.

11- دلل البحث على مدى تأثير الفنون الإسلامية في أعمال فناني ومصممي الزجاج وأن التراث الإسلامي مصدر إلهام لكل مبدع أو مبتكر في عالم الزجاج الفني والمعماري والصناعي، بما يحقق قدرًا كبيرًا من الإمتاع البصري والوظيفي.

المراجع

1- القرآن الكريم.
2- أبو العباس محمود عزام – تاريخ التربية الفنية ونظرياتها – دار بن سينا – الرياض – 1998م.
3- حسن الباشا – موسوعة العمارة والآثار والفنون الإسلامية – المجلد الأول – الفنون الإسلامية أصولها ومداها ومجالها – مكتبة الدار العربية للكتاب – القاهرة 1999م.
4- سعاد ماهر – الفنون الإسلامية – الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة – 1986م.
5- زكريا إبراهيم – مشكلة الفن – دار مصر للطباعة – القاهرة 1976م.
6- صخر فرزات – مدخل إلى الجمالية في العمارة الإسلامية – فنون عربية العدد "5" – دار واسط للنشر – المملكة المتحدة 1982م.
7- صفوت كمال – الأصالة التقليدية كمصدر إلهام للحداثة – بحث مقدم إلى الندوة الدولية الأولى للزجاج والمشربية – القاهرة 1996م.
8- عفيف البهنسي – الفن الحديث في البلاد العربية – دار الجنوب للنشر – تونس 1980م.
9- محمد صدقي الجباخنجي – الفن والقومية العربية – وزارة الثقافة والإرشاد القومي 1963م.
10- محمد علي حسن زينهم – التواصل الحضاري للفن الإسلامي – وزارة الثقافة بمصر – مطبوعات بريزم الثقافية – 2001م.
11- أبو العباس محمود عزام – تصميمات زجاجية ذات الطابع الشعبي المصري – رسالة ماجستير – كلية الفنون التطبيقية – جامعة حلوان – مصر –1984م.
12- أبو العباس محمود عزام – الاعتبارات الوظيفية والجمالية في تصميم أواني المائدة الزجاجية رسالة دكتوراه – كلية الفنون التطبيقية - جامعة حلوان – مصر – 1992م.
13- مصطفى عبد الرحيم محمد – تأثير اللون في المسطح الزجاجي الناتج عن طريق الإزالة بالإضافة وعلاقته بالفتحات المعمارية الحديثة – رسالة دكتوراه – كلية الفنون التطبيقية – جامعة حلوان – 1984م.
14- Dr-Geza, Islamic Works of Art, New York, 1990.
15- Tiffany windows in Richmond And Betersburc Virginia (Loyis comfort Tiffany) Bradshaw, Rachel Margaret – Virginia Commonwealth University Degree: PHD 1997.
16- Chioezerwick – A short History of Glass The Corning Museum of Glass., Corning, New York., 1980.